مكتبة خير أمة الإسلامية

بطل حديقة الموت

كان بطلنا أشْعَث أغْبَرَ ضئيل الجسم ولكنّه مع ذلك، قتل مائةً من المشركين مبارزةً واحدة، عدا عن الذين قتلهم في غمار المعارك مع المحاربين....

حدثت هذه القصة أثناء حروب الردة.

وكان أقوى المُرتدين بأساً، وأكثرهم عدداً، "بنو حنيفة "أصحاب مسيلمة الكّذاب فقد اجتمع لمسيلمة من قومه وحلفائهم أربعون ألفاً من أشداء المحاربين

وكان أكثر هؤلاء قدْ تبعوه عصبيّةً له، لا إيماناً به، فقد كان بعضُهم يقول: أشهدُ أن مُسيلمة كذابٌ ومحمداً صادقٌ ... لكنّ كذابَ ربيعة (أي مسيلمة الكذّاب) أحبُّ إلينا من صادقٍ مُضَر (يقصدون محمد صلى اللّه عليه وسلّم.(

هزم مسيلمة أول جيش خرج إليه من جُيوشِ المُسلمين بقيادَةِ "عِكْرِمَة بن أبي جهْل"

فأرسل له أبو بكرالصّديق جيشاً ثانياً بقيادة " خالد بن الوَليد " ، حشد فيه عظماء الصحابة من المهاجرين والأنصار.

التقى الجيشان على أرض اليمامة في نجدٍ، فما هُو إلا قليل، حتّى رجحت كفة مسيلمة وأصحابه، وزُلزلت الأرض تحت أقدام جنود المسلمين، حتّى اقتحم أصحاب مُسيلمَةَ خيمة "خالد بن الوليد " وكادوا يقتُلون زوجته وأولادَه لولا أن أجارَهُ واحدٌ منهم.

و شعر المسلمون بالخطر ، وأدركوا أنّهُم إن يُهزموا أمام مُسيلمة فلن تقوم للإسلام قائمةٌ بعد اليوم.

وهبَّ خالدٌ إلى جيشِهِ ، وأعَادَ تنظيمَهُ ، حيثُ ميَّز المُهاجرين عن الأنصار ، ليُعرَف بلاءُ كُلِّ فريقٍ في المعركة.

ودارتْ بينَ الفريقَين معركة شديدة ، لم تعرِف حُروبُ المُسلِمين لها نظِيراً من قبلُ ، وثبتَ قومُ مُسيلمة في المعركة ثبات الجبال الراسيات ولم يأبهوا لكثرة ما أصابهُم من القتل. وأبدى المُسلمون من خَوارِق البُطولات ما لو جُمِع لكان مَلْحَمةً من روائع الملاحم

ولكن بُطولات هؤلاء جميعا تتضاءل أمام بطولة (البراء بن مالك). الذي قال فيه عمر بن الخطاب "لا تولوا البراء جيشاً من جيوش المسلمين مخافة أن يهلك جيشه بإقدامه"

.....

عندما رأى خالد أن المعركة أخذت تشتد ، التفت إلى البراء بن مالك وقال: إليهم يا فتى الأنصار...

فألتفتَ إلى قومه وقال: يا مَعشَر الأنصَار لا يُفَكِّرَنَّ أحَدٌ منكم بالرجوعِ إلى المدينة، فلا مدينةَ لكُم بعد اليوم ... وإنّما هو اللّه وحده ... ثُم الجنّة...

ثُمّ حمل على المُترس، وانْبَرى يشُقُّ الصُفوف ويُعْمِل السيف في رقابِ أعداء اللّه حتى زَلزلت أقدامُ مسيلمة وأصحابه ، فلجأوا إلى الحديقة التي عُرِفت في التاريخ بعد ذلك باسم(حديقة الموت) لكثرة من قُتل فيها في ذلك اليوم . كانت حديقة الموت هذه رحبة الأرجاء سامِقَة الجُدرانِ ، فأغلق مسيلمةُ والآلافُ المُؤلّفة من جُنده عليهم أبوابها ، وتحصنوا بعالي جدرانها ، وجعلوا يمطرون المسلمين بنبالهم من داخلها فتتساقط عليهم تساقط المطر.

عند ذلك تقدم مغوار المسلمين الباسل البراء بن مالك وقال

يا قوم ضعوني على ترس ، وارفعوا الترس على الرمح ، ثم اقذفوني إلى الحديقة قريباً من بابها ، فإما أن أستشهد ، وإما أن أفتح لكم الباب.

وفي لمح البصر جلس البراء بن مالك على ترس ، فقد كان ضئيل الجسم نحيله ، ورفعته عشرات الرماح فألقته في حديقة الموت بين الآلاف المؤلفة من جند مسيلمة ، فنزل عليهم نزول الصّاعقة ، وما زال يجالدهم أمام باب الحديقة ، ويُعمل في رقابهم السيف حتى قتل عشرة منهم وفتح الباب، وبه بضعٌ وثمانون جراحةً من بين رميةٍ بسهْمٍ أو ضربةٍ بسيف ... فتدفق المسلمون على حديقة الموت، من حيطانها وأبوابِها وأعملوا السيوف في رقاب المُرتدين اللائذين بجُدرانها، حتّى قتلوا منهم قريباً من عشرين ألفاً ووصلوا إلى مُسيلمَة فَأَرْدُوْه صريعًا.

ثم نُقلَ البراءُ بن مالِك إلى رَحْلِه ليتداوى فيه، وأقام عليه خالد بن الوليد شهراً يُعالِجه من جراحِه حتّى أذن اللّه له بالشفَاء، وكتبَ لِجُند المُسلِمينَ على يديهِ النصر..... نَضّر اللّه وجه البراء بن مالِك في الجنة ، وأقَرَّ عينَهُ بصُحبَةِ نبيِّه محمد عليه الصلاة والسلام ، ورضي عنه وأرضاه .....

المصدر ::

كتاب :- صور من حياة الصحابة

تأليف :- الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا